المبحث الثاني
صيغة السلام في القرآن الكريم

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول
معنى السلام الذي تسمى الله به

سبقت الإشارة إلى أنَّ السلام اسم من أسماء الله تعالى؛ لسلامته سبحانه وتعالى من كل نقص وعيب من كل وجه، فهو السلام الحق بكل اعتبار، والمخلوق سلام بالإضافة؛ لأنَّ سلامته نسبية بالإضافة إلى غيره، يقال فلان سالم من الفقر، أو من المرض المعين، أو من العاهات المستديمة، ولا يقال فلان سالم من كل شيء على الإطلاق؛ لأنه إذا سلم من شيء لا يسلم من غيره في الغالب، وإن حصلت له السلامة المطلقة من كل وجه فإنما حصلت له باعتبار مخصوص مقيد بالزمان أو المكان، وحينئذٍ لا توصف سلامته بالإطلاق؛ لأنه في جميع حالاته محكوم ومربوب، خلق للامتحان والابتلاء، فيستحيل عليه الوصف المطلق من كل وجه بكل اعتبار؛ لما يعتريه من الضعف، والنقص، والذهول وغير ذلك، بل حتى سلامته النسبية لا تخرجه عن طبيعته البشرية، وكماله النسبي؛ وعليه فإن الوصف المطلق المجرد عن كل اعتبار يستحيل تصوره في بني البشر من كل وجه .

قال ابن القيم: وكان الرب تعالى أحق به ـ أي باسم السلام ـ من كل ما سواه؛ لأنه السالم من كل آفة، وعيب، ونقص، وذم؛ فإن له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وكماله من لوازم ذاته، فلا يكون إلا كذلك، والسلام يتضمن سلامة أفعاله من العبث، والظلم، وخلاف الحكمة، وسلامة صفاته من مشابهة صفات المخلوقين، وسلامة ذاته من كل نقص وعيب، وسلامة أسمائه من كل ذم، فاسم

السلام يتضمن إثبات جميع الكمالات له، وسلب جميع النقائص عنه ... إلى أن قال: وبالجملة فهو السلام من كل ما ينافي كماله المقدس بوجه من الوجوه، وأخطأ كل الخطأ من زعم أنه من أسماء السلوب، فإن السلب المحض لا يتضمن كمالاً، بل اسم السلام متضمن للكمال المطلق، السالم من كل ما يضاده(١).

وقال نشوان بن سعيد الحميري: السلام من أسماء الله عز وجل معناه: ذو السلامة مما يلحق الخلق من النقص، والعجز(٢).

وقال ابن كثير(٣): السلام أي من جميع العيوب والنقائص؛ لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله(٤).

ونقل الحافظ ابن حجر عن بعض أهل العلم بصيغة التمريض فقال: وقيل السَّلام من سَلِمَ من كل نقص، وبرىء من كل آفة وعيب، فهي صفة سلبية(٥).

قوله: فهي صفة سلبية، إن أراد بها السلب المحض فباطل؛ لأن السلب المحض لا يتضمن مدحاً فضلاً عن الكمال، وإن أراد بها السلب المتضمن إثبات كمال الضد فهذا صحيح ولعله المراد.

قال السهيلي(٦): وتَسَمَّى جل جلاله بالسلام؛ لما شَمَلَ جميع الخليقة، وعمهم بالسلامة من الاختلال والتفاوت؛ إذ الكل جَارٍ على نظام الحكمة، وكذلك سَلِمَ الثقلان من جَوْرٍ وظلم أن يأتيهم من قبله سبحانه، فهو في جميع

---

(١) انظر أحكام أهل الذمة لابن القيم ١ /٤١٤، دار ابن حزم، الدمام ـ بيروت، ط/ الأولى، سنة النشر: ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧م، تحقيق يوسف أحمد البكري، وشاكر توفيق العاروري.

(٢) انظر شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٥ /٣٦٧.

(٣) هو أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن زرع القرشي الدمشقي، شافعي المذهب، صهر الحافظ أبي الحجاج المزي، وتلميذ ابن تيمية، من مؤلفاته: الأحكام على أبواب التنبيه صنفه في صغره، والتاريخ المسمى بالبداية والنهاية، والتفسير، ولد سنة ٧٠١ هـ، وتوفي سنة ٧٧٤ هـ. انظر طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣ /٨٥.

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ٤ /٣٦٧.

(٥) انظر فتح الباري لابن حجر ١٣ /٣٦٦.

(٦) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن الحسن بن أصبغ الخثعمي السهيلي المالقي، إمام في اللغة والنحو، فقد بصره وعمره ١٧ سنة، من مصنفاته: الروض الأنف، والتعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام، وشرح آية الوصية، وكتاب نتائج الفكر، ولد في مالقة سنة ٥٠٨ هـ، وتوفي بمراكش سنة ٥٨١ هـ، وقيل سنة ٥٨٨ هـ. انظر البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروزابادي ص ١٣١، والأعلام للزركلي ٤ /٨٦.

أفعاله سلام، لاحيف، ولا ظلم، ولا تفاوت، ولا اختلال، ومن زعم من المفسرين لهذا الاسم إنه تسمى به لسلامته من العيوب، والآفات، فقد أتى بشنيع من القول، إنما السلام من سلم منه، والسالم من سلم من غيره، ولا يقال في الحائط إنه سالم من العي، ولا في الحجر إنه سالم من الزكام، إنما يقال فيمن يجوز عليه الآفة ويتوقعها ثم يسلم منها، وهو منزه من توقع الآفات، ومن جواز النقائص، ومَنْ هذه صفته لا يقال سلم منها، ولا يسمى بسالم، وهم قد جعلوا سلاماً بمعنى سالم[١].

وقول السهيلي رحمه الله: (ومن زعم من المفسرين لهذا الاسم أنه تسمى به لسلامته من العيوب ... الخ) فيه نظر، ويتضح خطئه من خلال الجواب عليه، وذلك من وجوه:

الوجه الأول: أنه سبحانه وتعالى منزه عن العيوب والآفات لكماله، لا لعدم قدرته عليها؛ إذ العجز صفة نقص لا كمال فيها بوجه من الوجوه.

قال ابن القيم: السلام يتضمن إثبات جميع الكمالات له، وسلب جميع النقائص عنه[٢].

الوجه الثاني: أنه إنما قيل في اسم السلام معنى السالم باعتبار مَنْ قد يتوهم جواز النقص عليه سبحانه وتعالى، كما توهمت ذلك طوائف من أهل الزيغ والإلحاد.

قال ابن القيم: فهو سلام في ذاته عن كل عيب ونقص يتخيله وهْمٌ، وسلام في صفاته من كل عيب ونقص، وسلام في أفعاله من كل عيب ونقص، وشر وظلم، وفعل واقع على غير وجه الحكمة، وهذا هو حقيقة التنزيه الذي نزه الله به نفسه، ونزهه به رسله وعباده الصالحون، فهو السلام من الصاحبة والولد، والسلام من النظير والكفء، والسمي والمماثل، والسلام من الشريك ونحوه، وهكذا إذا نظرت إلى أفراد صفات كماله لوجدت كل صفة سلاماً مما يضاد كمالها[٣].

---

(١) انظر الروض الأُنُف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ومعه السيرة النبوية لابن هشام ٢ /٤٣٣، بتصرف يسير، دار النصر للطباعة، ودار الكتب الحديثة ـ القاهرة، ط/ الأولى، سنة النشر: ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧م، تحقيق وتعليق عبد الرحمن الوكيل.

(٢) انظر أحكام أهل الذمة ١ /٤١٣.

(٣) انظر بدائع الفوائد ١ /١٣٥، بتصرف.

الوجه الثالث: التمثيل بالحائط، والحجر ممتنع لسببين:

السبب الأول: لا يوصف الحائط والحجر بالسلام؛ لعدم قابلية المحل لما ذكره من العي والزكام، وعدم القابلية نقص محض، فيستحيل معها إطلاق الوصف المذكور؛ لعدم توقعه منهما، بخلاف من قد يتوهم جواز الوصف السلبي على الله تعالى، فيقال له هو سالم منه؛ لكماله المقدس لا لعدم قدرته عليه، أو عجزه عنه.

السبب الثاني: أنه قياس مع الفارق؛ لأن الخالق لا يماثل مخلوقاته بأي وجه من الوجوه فما ثبت للخالق فهو لائق به، وما ثبت للمخلوق فهو لائق به، وليس كل ما انتفى عن المخلوق يجب نفيه عن الخالق، والعكس صحيح، وحينئذٍ فلا معنى من الاعتراض بالقياس لفساده؛ لأنه يستلزم المماثلة الممتنعة.

الوجه الرابع: أنَّه رحمه الله وقع فيما فرَّ منه؛ لأنَّه قال: (وكذلك سَلِمَ الثقلان من جور وظلم أن يأتيهم من قبله سبحانه، فهو في جميع أفعاله سلام، لاحيف، ولا ظلم، ولا تفاوت، ولا اختلال) وهذه عيوب في الحقيقة عند النظر فيها، فيقال له: وهل يتوقع من الله سبحانه وتعالى جور أو ظلم أنْ يكون من قبله سبحانه وتعالى على خلقه؟! والجواب لا شك بالنفي، وحينئذٍ يقال له لماذا شنعت القول على المفسرين وقولهم أسلم من قولك؛ لأنك جئت بالنفي المفصل، وهم جاءوا بالنفي المجمل، والله المستعان.

وبالجملة فالكمال والنقص من الأمور النسبية، والمعاني الإضافية، فقد تكون الصفة كمالاً لذات، ونقصاً لأخرى؛ ولهذا كان من الكمالات ما هو كمال للمخلوق، ونقص بالنسبة إلى الخالق، وهو كل ما كان مستلزماً لإمكان العدم عليه المنافي وجوده وقيوميته، أو مستلزماً للحدوث المنافي لقِدَمِه، أو مستلزماً لفقره المنافي لغناه[1].

(١) انظر في ذلك مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم الحراني ٦ / ٧٠ - ٨٧ - ١٣٧، والعقيدة الصفدية له أيضاً ٢ / ٣٩، ط/ الثانية، سنة النشر: ١٤٠٦ هـ تحقيق د. محمد رشاد سالم.

المطلب الثاني
صيغة سلام الله على عباده الصالحين في كتابه العزيز

وردت صيغة سلام الله على رسله، وعباده الصالحين في كتابه العزيز مُنكّرة، ومُقدَّمة على الخبر في عدة مواضع، منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨] ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٥]، والأصل في هذا النوع من الجمل تقديم الخبر فيها على المبتدأ؛ لأنَّ النكرة تقتضي الإبهام الذي يمنع تحصيل المعنى في ذهن المخاطب عند الإطلاق، بحيث تنعدم فائدة النسبة الخبرية إليها؛ إذ الأصل في المبتدأ أن يكون معرفةً، أو مخصوصاً بوجه من التخصيص تحصل به الفائدة، فإن انتفت عنه وجوه التخصيص بأجمعها فلا يخبر عنه إلا بشروط أربعة يجب توافرها في الخبر، وهي أنْ يكون مجروراً، ومفيداً، ومعرفةً، ومقدماً على المبتدأ؛ لأنَّه إذا تقدم، وكان معرفة صار كأنَّ الحديث عنه، وكأنَّ المبتدأ المؤخر خبرٌ عنه .

قال ابن مالك(١):

ولا يجوز الابتدا بالنكرة ما لم تفد كعند زيد نمرة(٢)

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن عبدالله بن مالك الطائي الجياني ـ نسبة إلى جيان بلد بالأندلس ـ النحوي، نزيل دمشق، إمام في العربية واللغة، بل كان مبرزاً في صناعة العربية، من مؤلفاته: الألفية في النحو وتسمى بالخلاصة، والعمدة، وإكمال العمدة وشرحها، والتسهيل وشرحه، وغير ذلك ، ولد سنة ٦٠٠ هـ، وتوفي بدمشق سنة ٦٧٢ هـ . انظر البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروزابادي ص ٢٠١، وانظر شذرات الذهب ٧ / ٥٩٠، وأبجد العلوم ٣ /٣٣ .

(٢) انظر ألفية ابن مالك بشرح ابن عقيل ١ / ٢٠٢، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ـ بيروت، سنة النشر: ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨م، تحقيق محمد أسعد النادري .

obeikandi.com

ولفظ سلام الله تعالى على عباده الصالحين في القرآن الكريم قد تخصص بالدعاء، والوصف، وكثرة الاستعمال، وكون الاسم المبتدأ به جنساً، وهذه المسوغات يكفي واحد منها لتبرير الابتداء باللفظ المنكر فكيف إذا اجتمعت بأجمعها؟!.

قال الزجاج[١]: وسلام مما ابتدئ به في النكرة؛ لأنه اسم يكثر استعماله، وأسماء الأجناس يُبْتَدَأُ بها؛ لأنَّ نكرتها قريب من فائدة معرفتها[٢].

وقال ابن القيم: جاز الابتداء بها؛ لأنها في حكم الموصوفة؛ لأنَّ المسلِّم إذا قال سلام عليكم، فإنما مراده سلام مني عليك، كما قال تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ [هود: ٤٨]، وأيضاً ألا ترى أن مقصود المسلِّم إعلام من سلم عليه بأن التحية والسلام منه نفسه؛ لما في ذلك من حصول مقصود السلام من التحيات، والتواد، والتعاطف[٣].

فإنْ قيل هل ثَمَّ مانعٌ يمنع من دخول الألف واللام في سلام الله على عباده الصالحين؟.

جوابه يتضح ببيان فوائد التعريف الداخل على السلام، وهي على النحو الآتي:

الفائدة الأولى: الإشعار بذكر الله تعالى؛ لأنَّ السلام المعرف اسم من أسمائه كما سبق.

الفائدة الثانية: الإشعار بطلب معنى السلامة منه سبحانه وتعالى للمسلَّم عليه؛ لأنك متى ذكرت اسماً من أسمائه فقد تعرضت به، وتوسلت به إلى تحصيل المعنى الذي اشتق منه ذلك الاسم.

---

(١) هو الإمام النحوي أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج البغدادي، حنبلي المذهب، من مصنفاته: معاني القرآن، وكتاب مختصر في النحو، وكتاب فعل وافعل، وكتاب ما ينصرف ومالا ينصرف، توفي سنة ٣١١ هـ وقيل ٣١٠ هـ. انظر سير أعلام النبلاء ١٤ /٣٦٠، وانظر البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروزأبادي ص ٤٥، وأبجد العلوم ٣ /٤٣.

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه ٣ /٣٢٩، عالم الكتب - بيروت، ط/ الأولى، سنة النشر: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، شرح وتحقيق د.عبد الجليل عبده شلبي.

(٣) انظر بدائع الفوائد ٢ /١٥٢، بتصرف.

الفائدة الثالثة: الألف واللام يلحقها معنى العموم في مصحوبها، والشمول فيه، المشعر بطلب السلامة من كل وجه، فلا يختص بنوع دون الآخر.

الفائدة الرابعة: التعريف بالألف واللام يقوم مقام الإشارة إلى المعين، كما تقول ناولني الكتاب، واسقني الماء، واعطني الثوب، لما هو حاضر بين يديك، فإنك تستغني بها عن قولك هذا، فهي مؤدية معنى الإشارة(١).

والمقام هنا مستغن عن هذه الفوائد؛ لأنَّ المتكلم بالسلام هو الله تعالى، فلم يقصد تبركاً بذكر الاسم كما يقصد العبد، فإنَّ التبرك استدعاء البركة، واستجلابها، والعبد هو الذي يقصد ذلك.

ولا قَصَدَ أيضاً تعرضاً، وطلباً على ما يقصده العبد؛ لأنه سبحانه وتعالى غني والخلق إليه فقراء.

ولا قَصَدَ أيضاً العموم؛ لأنَّ سلاماً منه سبحانه وتعالى كافٍ عن كل سلام، ومغنٍ عن كل تحية، ومقرب من كل أمنية، فأدنى سلام منه يستغرق الوصف، ويتم النعمة، ويدفع البؤس، ويطيب الحياة، ويقطع مواد العطب والهلاك، فلم يكن لذكر الألف واللام هناك معنى، وتأمل قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة: ٧٢]، كيف جاء بالرضوان مبتدأً منكراً، مخبراً عنه بأنه أكبر من كل ما وُعِدُوا به، فأيسر شيءٍ من رضوانه أكبر من الجنات، وما فيها من المساكن الطيبة، وما حوته؛ ولهذا لما تجلى الله لأوليائه في جنات عدن، وهو يمنيهم أي شيء تريدون فيقولون: ربنا وأي شيء نريد أفضل مما أعطيتنا، فيقول تبارك وتعالى: (إنَّ لكم عندي أفضل من ذلك؛ أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً)(٢).

---

(١) هذه الفوائد وما بعدها مقتبسة من المصدر السابق ٢ / ١٥٤.

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار ٥ / ٢٣٩٨ برقم ٦١٨٣، ومسلم في صحيحه، كتاب صفة الجنة، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة ٤ / ٢١٧ برقم ٢٨٢٩، ولفظ البخاري من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم، فيقولون: وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب وأيّ شيءٍ أفضل من ذلك، فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً».

المطلب الثالث
إشكال وارد على سلام الله على عباده الصالحين وجوابه

الإشكال هو أن التسليم، أو السلام طلب ودعاء، فكيف يتصور وقوعه من الله تعالى، والطلب يتضمن طالباً، ومطلوباً، ومطلوباً منه، ولا يمكن تصور الطلب إلاّ بهذه الأركان الثلاثة، فإذا كان الأمر كذلك فممَّنْ يطلب الله تعالى ذلك؟.

وحقيقة الإشكال تتضح ببيان منشأه وسببه الموجب له، وهو عدم تصور الطالب أن يكون طالباً من نفسه لغيره، بحيث يكون طالباً، ومطلوباً منه في نفس الوقت، وهذا هو سرُّ المسالة الذي أوجب فيها الغموض والإشكال.

وجوابه أن يقال: إنَّ طلب الحي من نفسه أمر غير ممتنع، بل هو معقول يعلمه كل أحد من نفسه، ودلالة النصوص عليه ظاهرة، كقول الله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [النازعات: ٤٠].

فإذا كان معقولاً أنَّ الإنسان يأمر نفسه وينهاها، والأمر والنهي طلب مع أنَّ فوقه آمراً وناهياً، فكيف يستحيل تصور هذا ممن لا آمر فوقه ولا ناهٍ أنْ يطلب من نفسه فعل ما يحبه وتركَ ما يبغضه، وربنا ذو فضل وكرم، قد يوجب على نفسه لعباده أشياء من غير أن يوجبها عليه أحد، فهو الموجب على نفسه بنفسه تكرماً وتفضلاً منه سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الانعام: ٥٤]، و قال تعالى: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ [التوبة: ١١١]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، فكل هذا حق أحقه الله تعالى، وأوجبه على نفسه بلفظ (الكتابة) الدال على ثبوت توثيق

الوعد، وبلفظ (الحق) الدال على تأكيد لزوم الوعد، وبلفظ (على) الدال على الوجوب، وهذا كله فضلٌ منه سبحانه وتعالى.

ومنه حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إنَّ رحمتي سبقت غضبي**»(١).

و حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له عفير، فقال: «**يا معاذ، هل تدري ما حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟**، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنَّ حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً، فقلت: يا رسول الله، أفلا أبشر به الناس؟، قال: «لا تبشرهم، فيتكلوا**»(٢).

والمقصود أنه لا يمتنع سلام الله تعالى على عباده؛ كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت قريش للنبي ﷺ: «ادع الله ربك أنْ يجعل لنا الصفا ذهباً؛ ونؤمن بك، قال: أو تفعلون؟ قالوا: نعم فدعا الله، فأتاه جبريل فقال: إنَّ ربك يقرئُ عليك السلام – وفي لفظ [يقرئك السلام] ـ يقول: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً؛ فمن كفر منهم عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وإن شئت حسنةً لهم أبواب التوبة والرحمة، قال: يا رب باب التوبة والرحمة – وفي رواية زيادة [والإنابة])(٣).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء ٦ / ٢٧٠٠ برقم ٦٩٨٦، وباب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٧١] ٦ / ٢٧١٢ برقم ٧٠١٥ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار ٣ /١٠٤٩ برقم ٢٦٩٩، وكتاب اللباس، باب إرداف الرجل خلف الرجل ٥ /٢٢٢٤ برقم ٥٨٧٦، وباب من جاهد نفسه في طاعة الله ٥ /٢٣٨٤ برقم ١٦٣٥، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على من مات على التوحيد دخل الجنة ١ /٥٨ برقم ٣٠، ورواه الحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء، والتكبير والتهليل، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ١ /٦٩٨ برقم ١٩٠١ بأطول من هذا، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه هكذا، ووافقه الذهبي .

(٣) حديث صحيح يروى من وجوه عن ابن عباس رضي الله عنهما كما عند أحمد في مسنده، ١ /٢٤٢ برقم ٢١٦٦، وعبد بن حميد في منتخبه من المسند ص ٢٣٢ برقم ٧٠٠، مكتبة السنة ـ القاهرة، ط/ الأولى، سنة النشر: ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م، تحقيق صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، وأخرجه الطبراني أيضاً في معجمه الكبير ١٢ /١٥٢ برقم ١٢٧٣٦، والحاكم من ثلاثة وجوه كما في المستدرك، كتاب الإيمان ١ /١١٩ برقم ١٧٤، وفي كتاب التفسير، تفسير سورة المائدة ٢ /٣٤٤ برقم ٣٢٢٥، وفي كتاب التوبة والإنابة ٤ /٢٦٨ برقم ٧٦٠١ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في موضعين، وأخرجه أيضا البيهقي في سننه الكبرى، كتاب السير، باب مبتدأ الفرض على النبي ﷺ ثم على الناس وما =/=

الشاهد منه قوله: (إنَّ ربك يقرئ عليك السلام)

ومما سبق يزول الإشكال الوارد في سلام الله على عباده، كقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٩]، وقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات: ١٠٩]، وقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات: ١٣٠]، وقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ [الصافات: ١٢٠]، وقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤]؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى لا يمتنع في حقه أن يسلم على عباده، وإنما الذي يمتنع عليه هو أنْ يُطْلَب له السلام، فقد كان الصحابة ﷺ يقولون في الصلاة: السلام على الله، كما في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: كُنَّا إذا صلَّيْنا مع النبي ﷺ قلنا: السلام على الله قبل عباده، السلام على جبريل، السلام على فلان، فقال النبي ﷺ: «لا تقولوا السلام على الله؛ فإنَّ الله هو السلام، ولكن قولوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»(١). فنهاهم النبي ﷺ أن يقولوا السلام على الله؛ لأنَّ السلام دعاء وطلب، فيستحيل أن يطلب للغني سبحانه وتعالى ذلك؛ إذ هو المدعو لا المدعو له؛ ولأنه سبحانه وتعالى هو واهب السلامة، فكيف تُطْلَبُ له؟؛ ولذلك جاء في حديث أنس بن مالك ﷺ قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ وعنده خديجة ﷺ(٢) فقال له: «إن الله يُقرِئُ خديجة السلام، فقالت: إن الله هو

=/= لقي ﷺ من أذى قومه في تبليغ الرسالة ٩ / ٨ برقم ١٧٧٣٢ . قال المنذري: رواته رواة الصحيح . انظر الترغيب والترهيب ٤ /٤٧، وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح . انظر مجمع الزوائد ١٠ /١٩٦ .

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب التشهد في الآخرة ١ /٢٨٦ برقم ٧٩٧، وفي كتاب الدعوات، باب الدعاء في الصلاة برقم ٥٩٦٧ واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة ١ /٣٠١ برقم ٤٠٢ .

(٢) هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية زوج النبي ﷺ، وأول من صدقت ببعثته مطلقاً، كانت تدعى قبل البعثة بالطاهرة، وهي من خير نساء الدنيا، ومن سيدات نساء الجنة، وقد أثنى النبي ﷺ عليها بما لم يثن على غيرها، كما في حديث عائشة ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة، فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوماً من الأيام فأخذتني الغيرة، فقلت: هل كانت إلا عجوزاً، قد أبدلك الله خيراً منها، فغضب، ثم قال: «لا والله، ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء». قالت عائشة: فقلت في نفسي لا أذكرها بعدها بسبة أبداً. انظر الإصابة لابن حجر ٧ /٦٠٠، وما بعدها.

السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك السلام ورحمة الله وبركاته»[١].

قال الحافظ ابن حجر: قال العلماء في هذه القصة دليل على وفور فقهها؛ لأنها لم تقل وعليه السلام، كما وقع لبعض الصحابة، حيث كانوا يقولون في التشهد السلام على الله، فنهاهم النبيُّ ﷺ، وقال: إنَّ الله هو السلام، فقولوا التحيات لله، فعرفت خديجة رضي الله عنها لصحة فهمها أنَّ الله لا يرد عليه السلام، كما يرد على المخلوقين؛ لأنَّ السلام اسم من أسماء الله، وهو أيضاً دعاء بالسلامة، وكلاهما لا يصلح أنْ يرد به على الله، فكأنها قالت: كيف أقول عليه السلام والسلام اسمه، ومنه يطلب، ومنه يحصل؟!. فيستفاد منه أنه لا يليق بالله إلا الثناء عليه، فجعلت رضي الله عنها مكان رد السلام الثناء عليه، ثم غايرت بين ما يليق بالله وما يليق بغيره، فقالت: وعلى جبريل السلام، وعليك السلام[٢].

ونقل الحافظ ابن حجر عن التوربشتي[٣] قوله: وجه النهى عن السلام على الله؛ لأنه المرجوع إليه بالمسائل، المتعالي عن المعاني المذكورة، فكيف يُدْعَىٰ له وهو المدعو على الحالات؟.

---

(١) رواه النسائي في سننه الكبرى، كتاب المناقب، باب مناقب خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ٥ /٩٤ برقم ٨٣٥٩، وفي كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا قيل له إن فلاناً يقرأ عليك السلام ٦ /١٠١ برقم ١٠٢٠٦، وفي عمل اليوم والليلة له أيضاً، باب ما يقول إذا قيل له إن فلاناً يقرأ عليك السلام ص ٣٠١ برقم ٣٧٤، وفي فضائل الصحابة له أيضاً في مناقب خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ص ٧٥ برقم ٢٥٤، ومن طريق النسائي أخرجه أبو عبد الله المقدسي في الأحاديث المختارة ٥ /١٦ برقم ١٦١٧، وأخرجه أيضاً الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، ومنهم خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ٣ /٢٠٦ برقم ٤٨٥٦، من غير ردها على جبريل عليه السلام، وقال: هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي . قال الشيخ مقبل على سند النسائي : حديث حسن، رجاله رجال الصحيح إلاَّ شيخ النسائي لا باس به، وتابعه قتيبة بن سعيد؛ كما عند الحاكم، وقال صحيح على شرط مسلم . انظر الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين للشيخ مقبل بن هادي الوادعي ١ /٨٥ .

(٢) انظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٧ /١٣٩ .

(٣) هو أبو عبد الله فضل الله بن أبي سعيد الحسن، شهاب الدين التُّورِبُشْتي - بضم المثناة -، ويقال: التربشتي، شافعي المذهب، قال السبكي: رجل محدث فقيه من أهل شيراز، شرح مصابيح البغوي شرحاً حسناً، وروى صحيح البخاري عن عبد الوهاب بن المغرم . توفي سنة ٦٦١ هـ . انظر طبقات الشافعية الكبرى لأبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ٨ /٣٤٩، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – الجيزة، ط/ الثانية، سنة النشر: ١٩٩٢م، تحقيق د.عبد الفتاح محمد الحلو، و د.محمود محمد الطناحي، وانظر الأعلام للزركلي ٥ /١٥٢ .

ونقل أيضاً عن الخطابي[١] قوله: المراد أنَّ الله هو ذو السلام، فلا تقولوا: السلام على الله؛ فإن السلام منه بدأ، واليه يعود، ومرجع الأمر في إضافته إليه أنه ذو السلام من كل آفة وعيب، ويحتمل أن يكون مرجعها إلى حظ العبد فيما يطلبه من السلامة من الآفات والمهالك[٢].

قال الطيبي: ووجه النهي عن السلام على الله تعالى؛ لأن الله عز وجل هو المرجوع إليه بالمسائل، المتوسل إليه بالدعاء، المتعالي عن المعاني التي ذكرناها في التسليم، فأنى يدعى له وهو المدعو على الحالات؟!، ولأيٍّ معنى يطلق عليه ما تستدعيه حاجة المفطورين وتقتضيه نقائص المربوبين؟[٣].

(١) هو الإمام أبو سليمان حَمْد، وقيل: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، المعروف بالخطابي، شافعي المذهب، كان رأساً في علم العربية، والفقه، والأدب، من مصنفاته: معالم السنن، وأعلام البخاري، وغريب الحديث، وشرح أسماء الله الحسنى، ولد سنة بضع عشرة وثلاث مائة من الهجرة، وتوفي سنة ٣٨٨ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ١٧ /٢٥، وطبقات الشافعية لابن قاضي شبهة ٢ /١٨٦ .

(٢) انظر فتح الباري لابن حجر ٢ /٣١٢ .

(٣) انظر شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بالكاشف عن حقائق السنن لشرف الدين الحسين بن محمد الطيبي ٣ /١٠٣٣، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة ـ الرياض، ط/ الأولى، سنة النشر: ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م، تحقيق د.عبد الحميد هنداوي .

المطلب الرابع
سرُّ التعريف والتنكير في قصتي يحيى والمسيح عليهما السلام وتقييد السلام عليهم بالأوقات الثلاثة

أولاً: التعريف والتنكير:

قال الله تعالى في قصة يحيى عليه السلام: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٥]، وقال في قصة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣]، يلاحظ من الآيتين أنّ تسليم الله تعالى على يحيى بلفظ النكرة، وتسليم المسيح على نفسه بلفظ المعرفة، والسؤال المطروح هنا هل لهذا التغاير بين الصيغتين تأثير على معنى الآيتين، أم هما بمعنىً واحد؟.

الجواب على ذلك يرجع إلى فهم الآيتين، فمن جعل الألف واللام في سلام عيسى للعهد؛ لتقدم ذكره في اللفظ قال هما بمعنى واحد؛ لاحتمال أن يكون المسيح عليه السلام أشار إلى السلام الذي سلمه الله على يحيى عليه السلام، فأراد أن يقول ولي من السلام في مثل هذه المواطن الثلاثة مثل ما حصل ليحيى.

قال أحمد بن يوسف السمين[1]: الألف واللام للعهد لتقدم ذكر السلام،

(١) هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، نزيل القاهرة، النحوي المقرئ، المعروف بابن السمين، صاحب الإعراب المشهور، ولي تصدير إقراء النحو بالجامع الطولوني، وناب في الحكم بالقاهرة، وولي نظر الأوقاف بها، من مصنفاته: الدر المصون، وأحكام القرآن، وشرح التسهيل، وشرح الشاطبية، توفي سنة ٧٥٦ هـ. انظر طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنه وي ص ٢٨٧، مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة، ط/ الأولى، سنة النشر: ١٩٩٧م، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣ /١٨.

وإن كان السلام الواقع على عيسى هو غير السلام الواقع على يحيى؛ لاختصاص كل سلام بصاحبه من حيث اختصاصه به، أي ذلك السلام الموجه إلى يحيى موجه إليَّ، فهو كقوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥، ١٦](١).

وجنح ابن القيم إلى إثبات التغاير بين الصيغتين باعتبار الاختلاف الثابت بين المسَلَّمَيْنِ، فجعل السلام الأول من الله لعبده، والسلام الثاني طلب العبد من الله لنفسه. والفرق بينهما أنَّ الأول مبتدأه من الله، والثاني مبتدأه من المخلوق.

قال ابن القيم: فإنهما سلامان متغايران من مسلمين، أحدهما سلام الله تعالى على عباده، والثاني سلام العبد على نفسه(٢).

وعامة أهل العلم أوَّلُوا سلام الله تعالى على عباده بالثناء، والذكر الحسن، وبالأمان، وهو تفسير باللازم، لا يمتنع معه حمل اللفظ على حقيقته بالمطابقة.

قال ابن عطية(٣): والأظهر عندي أنها التحية المتعارفة، فهي أشرف وأنبه من الأمان؛ لأنَّ الأمان متحصل له بنفي العصيان عنه، وهي أقل درجاته، وإنما الشرف في أن سلم الله عليه، وحَيَّاهُ في المواطن التي الإنسان فيها في غاية الضعف والحاجة، وقلة الحيلة، والفقر إلى الله تعالى، وعظيم الهول(٤).

واستحسن القرطبي قول ابن عطية حيث قال: وهذا قول حسن(٥).

وتبعهما على ذلك ابن القيم حيث قال: فمن قال إنَّ المتروك - أي في قوله

---

(١) انظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٦ /٢٥٣ - ٧ /٥٩٧ بتصرف، دار القلم، بتحقيق أحمد محمد الخراط.

(٢) انظر بدائع الفوائد ٢ /١٦٧.

(٣) هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية الغرناطي القاضي، قدوة المفسرين، كان فقهياً، وعارفاً بالأحكام، والحديث، والتفسير، بارعاً في الأدب، بصيراً بلسان العرب، واسع المعرفة، له يد في الإنشاء والنظم والنثر، وكان يتوقد ذكاءً، ولد سنة ٤٨٠ هـ، وتوفي سنة ٥٤١ هـ، وقيل: ٥٤٦ هـ. انظر طبقات المفسرين لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ص ٦٠ - ٦١، مكتبة وهبة - القاهرة، ط/ الأولى، سنة النشر: ١٣٩٦ هـ، تحقيق علي محمد عمر، وانظر الديباج المذهب ١ /٧، وكشف الظنون ٢ /١٦١٣.

(٤) انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤ /٨، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت.

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١ /٨٩.

تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ – هو السلام عليهم في الآخرين نفسه، فلا ريب أنَّ قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٩]، جملة في موضع نصب بـ(تركنا)، والمعنى أن العالمين يسلمون على نوح، ومن بعده من الأنبياء، ومن فسره بلسان الصدق، والثناء الحسن، نظر إلى لازم السلام وموجبة، وهو الثناء عليهم، وما جعل لهم من لسان الصدق الذي لأجله إذا ذكروا سلم عليهم(١).

وقال في موطن آخر: قال الله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨١]، وقال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ [النمل:٥٩]، وكلمة السلام هنا تحتمل أن تكون داخلة في حيز القول، فتكون معطوفة على الجملة الخبرية، وهي الحمد لله، ويكون الأمر بالقول متناولاً للجملتين معاً، وعلى هذا فيكون الوقف على الجملة الأخيرة، ويكون محلها النصب محكية بالقول، ويحتمل أن تكون جملة مستانفة مستقلة معطوفة على جملة الطلب، وعلى هذا فلا محل لها من الإعراب، وهذا التقدير أرجح، وعليه يكون السلام من الله عليهم، وهو المطابق لما تقدم من سلامه سبحانه وتعالى على رسله عليهم السلام، وعلى التقدير الأول يكون أمر بالسلام عليهم(٢).

ثانياً: تقييد سلامهما بالأوقات الثلاثة:

الملاحظ في قصتي يحيى والمسيح عليهما السلام تقييد سلامهم بأوقات مخصوصة، وهي مواطن تدل على النقلة من قرار إلى قرار، ومن حياة إلى حياة، فهل لهذا التقييد سرٌّ أومعنىً يمكن الرجوع إليه؛ لفهم معنى الآيتين؟.

الجواب على ذلك ما قاله سفيان بن عُيينة حيث قال: أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن، يوم يولد فيرى نفسه خارجاً مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قوماً

(١) انظر جلاء الأفهام لابن القيم ص٤٥٧ ـ ٤٥٨، دار العروبة ـ الكويت، ط/ الثانية. سنة النشر: ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط .

(٢) انظر طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم ص٥١٤ ـ ٥١٥، دار ابن القيم ـ الدمام، ط/ الثانية، سنة النشر: ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م، تحقيق عمر محمود أبو عمر.

لم يكن عاينهم، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشرٍ عظيم، فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا فخصه بالسلام عليه فقال: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:١٥] (١).

وقال ابن القيم: إنَّ طلب السلامة يتأكد في المواضع التي هي مظان العطب، ومواطن الوحشة، وكلما كان الموضع مظنة ذلك تأكد طلب السلامة، وتعلقت بها الهمة، فذكرت هذه المواطن الثلاثة؛ لأنَّ السلامة فيها آكد، وطلبها أهم، والنفس عليها أحرص؛ لأنَّ العبد فيها قد انتقل من دار كان مستقراً فيها، وَمُوَطَّنَ النفسِ على صحبتها وسكناها، إلى دار هو فيها معرض للآفات والمحن والبلاء، فإنَّ الجنين من حين خرج إلى هذه الدار انتصب لبلائها وشدائدها ولأوائها، ومحنها وأفكارها، كما أفصح الشاعر بهذا المعنى حيث يقول:

تأمل بكاء الطفل عند خروجه ... إلى هذه الدنيا إذا هو يولد
تجد تحته سراً عجيباً كأنه ... بكل الذي يلقاه منها مهدد
وإلا فما يبكيه منها وإنها ... لأوسع مما كان فيه وأرغد

فكان طلب السلامة في هذا الموطن من آكد الأمور، وكذلك الموطن الثاني، عند خروجه من هذه الدار إلى دار البرزخ عند الموت، ونسبة الدنيا إلى تلك الدار كنسبة داره في بطن أمه إلى الدنيا تقريباً وتمثيلاً، وإلا فالأمر أعظم من ذلك وأكبر، وطلب السلامة أيضاً عند انتقاله إلى تلك الدار من أهم الأمور، وكذلك الموطن الثالث، موطن يوم القيامة، يوم يبعث الله تعالى الأحياء، ولا نسبة لما قبله من الدور إليه لعظم أمره، وطلب السلامة فيه آكد من جميع ما قبله، فإنَّ عطبه لا يستدرك، وعثرته لا تقال، وسقمه لا يداوى، وفقره لا يسد، فتأمل كيف خص هذه المواطن بالسلام؛ لشدة الحاجة إلى السلامة فيها، وتأمل ما في السلام من زيادة الأنس، وذهاب الوحشة، ثم نَزِّلْ ذلك على الوحشة الحاصلة للعبد في

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره الموسوم بجامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٦/ ٥٩، دار الفكر - بيروت، سنة النشر: ١٤٠٥ هـ.

هذه المواطن الثلاثة، عند خروجه إلى عالم الابتلاء، وعند معاينته هول المطلع، إذا قدم على الله وحيداً مجرداً عن كل مؤنس إلا ما قدمه من صالح عمله، وعند موافاته القيامة، مع الجمع الأعظم؛ ليصير إلى إحدى الدارين التي خلق لها، واستعمل بعمل أهلها، فأي موطن أحق بطلب السلامة من هذه المواطن، فنسأل الله السلامة فيها بمنه وكرمه، ولطفه وجوده وإحسانه[1].

(١) انظر بدائع الفوائد لابن القيم ٢ /١٦٨-١٦٩ بتصرف .

obeikandl.com

المطلب الخامس
السلام في الدار الآخرة

تمهيد:

السلام الحاصل لأهل دار الآخرة يتنوع باعتبارين، باعتبار المبتدئ بالسلام، أي: من يصدر منه السلام ابتداءً، وباعتبار المكان الذي يلقى فيه السلام؛ لأنَّ السلام يكون تارة من الله تعالى، وتارة من الملائكة، وتارة من أهل الجنة فيما بينهم، وما كان بينهم فمنه ما يحصل قبل دخولهم الجنة، ومنه ما يحصل بعد دخولهم؛ ولهذا قلت السلام في الدار الآخرة، ولم أقل سلام أهل الجنة؛ لحصول بعضه قبل دخولهم، وإن كان يصح إطلاق القول بسلام أهل الجنة، باعتبار ما يؤولون إليه من الدخول، وباعتبار الغالب؛ لأنَّ غالب سلامهم يكون حصوله في الجنة، وما يحصل خارجها فإنما هو لعارض المرور بأهل الأعراف، وعليه فإنَّ المقام يقتضي من الباحث التفريع على النحو الآتي:

أولاً: سلام الرب على أهل الجنة:

الأصل فيه قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[يس: ٥٨]، «سلام» مبتدأ خبره محذوف تقديره سلام عليهم، وقيل: سلام خبر لقوله تعالى: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾، والمعنى: ولهم فيها ما يدعون وذلك هو سلام من الله عليهم، بمعنى تسليم من الله، ويكون سلام ترجمة ما يدعون، حكاه ابن جرير الطبري[1]

(١) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري البغدادي، قيل إنه من الأئمة المجتهدين الذين لم يقلدوا أحداً، كان إماماً في الحديث، والفقه، والتاريخ، والتفسير، قال الخطيب البغدادي: سمعت علي بن عبد الله اللغوي يقول: مكث ابن جرير أربعين سنة يكتب كل يوم أربعين ورقة، ولد سنة ٢٢٤ هـ، وتوفي في شوال سنة ٣١٠ هـ. انظر طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢ / ١٠٠، وانظر أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي ٣ / ٩٠.

وانتصر له، وقال: هو أولى بالصواب، واستدل له بأثر رواه بسنده، عن محمد بن كعب القرظي يحدث عمر بن عبد العزيز[١] قال: (إذا فرغ الله من أهل الجنة وأهل النار، أقبل يمشي في ظلل من الغمام والملائكة، فيقف على أول أهل درجة فيسلم عليهم، فيردون عليه السلام، وهو في القرآن ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ فيقول: سلوا، فيقولون: ما نسألك وعزتك وجلالك، لو أنك قسمت بيننا أرزاق الثقلين لأطعمناهم وسقيناهم، متخيراً، فيقول: سلوا، فيقولون: نسألك رضاك، فيقول: رضائي أحلكم دار كرامتي، فيفعل ذلك بأهل كل درجة حتى ينتهي)[٢].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: **«بَيْنَا أهل الجنة في نعيمهم إذ سَطَعَ لهم نور فرفعوا رؤوسَهُم فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم**

---

(١) هو أبو حفص أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الأموي المدني ثم المصري، الخليفة الراشد، من تابعي أهل المدينة، كان ثقة مأموناً، له فقه وعلم وورع، وكان إمام عدل، قال الشافعي: الخلفاء خمسة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم. ولد عمر بن عبد العزيز سنة ٦٣ هـ، وقيل: ٦١ هـ، وتوفي بحمص سنة ١٠١ هـ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأياماً. انظر سير أعلام النبلاء ٥ / ١١٤، وما بعدها.

(٢) رجاله ثقات وإسناده صحيح مرسل، رواه ابن جرير الطبري في تفسيره الموسوم بجامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٣ / ٢، وفيه أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد الجوهري الطبري ثقة حافظ، تكلم فيه بلا حجة. انظر تقريب التهذيب ص ٨٩، وفيه أيضاً محمد بن كعب بن حيان بن سليم أبو حمزة المدني، قال الذهبي: قيل ولد محمد بن كعب في حياة النبي ﷺ ولم يصح ذلك ... إلى أن قال: وهو يرسل كثيراً، ويروي عمن لم يلقهم. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٥ / ٦٦، وقال أبو سعيد العلائي: محمد بن كعب القرظي، روى عن علي، والعباس، وابن مسعود، وأبي الدرداء، وذلك مرسل لم يلقهم، وقال عبد الله بن أحمد: لم أر أبي يصحح أن محمد بن كعب سمع من علي رضي الله عنه. انظر تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل لأحمد ابن عبد الرحيم بن الحسين الكردي ص ٢٨٦، مكتبة الرشيد ـ الرياض، ط/ الأولى، سنة النشر: ١٩٩٩م، تحقيق عبدالله نوارة. وقال الترمذي في جامعه: سمعت قتيبة بن سعيد يقول: بلغني أن محمد بن كعب القرظي ولد في حياة النبي ﷺ. انظر جامع الترمذي المعروف بسنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر ٥ / ١٧٥، قلت: وكذلك حكى أبو عبيد الآجري عن أبي داود عن قتيبة، وهو وهم من قتيبة، وإنما ذلك في حق كعب والد محمد، انظر في ذلك الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٦ / ٣٤٥.

(٣) هو أبو عبد الله، وقيل أبو عبد الرحمن، وقيل أبو محمد جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري، مفتي المدينة في زمانه، كان آخر من شهد بيعة العقبة في السبعين من الأنصار، أراد شهود بدر وشهود أحد فكان أبوه يخلفه على أخواته، ثم شهد الخندق وبيعة الرضوان، وشهد مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة، وحمل عن النبي ﷺ علماً كثيراً نافعاً، مات سنة ٧٣ هـ، وقيل ٧٤ هـ، وقيل سنة ٧٨ هـ، قيل عاش ٩٤ سنة. انظر الاستيعاب لابن عبد البر ١ / ٤٣٤، وتذكرة الحفاظ لمحمد بن طاهر القيسراني ١ / ٤٤، دار الصميعي ـ الرياض، ط/ الأولى، سنة النشر: ١٤١٥ هـ تحقيق حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي.

فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة. قال: وذلك قول الله: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾. قال: فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيءٍ من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم، ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم»[١].

قال عبد الرحمن السعدي[٢] عند تفسير الآية: ففي هذا كلام الرب تعالى لأهل الجنة، وسلامه عليهم، وأكده بقوله: ﴿قَوْلًا﴾، وإذا سلم عليهم الرب الرحيم حصلت لهم السلامة التامة من جميع الوجوه، وحصلت لهم التحية التي لا تحية أعلى منها، ولا نعيم مثلها[٣].

وقوله تعالى: ﴿مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ فيه بيان مبتدأ السلام وهو من الله، أي يسلم عليهم من جهته، مبالغةً منه سبحانه وتعالى في إكرامهم وتعظيمهم.

وأما قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤] يحتمل اللقاء هنا لقاء الله، ويحتمل لقاء الموت[٤]، ويحتمل لقاء النعيم في

---

(١) رواه ابن ماجة في مقدمة سننه، باب فيما أنكرت الجهمية ١ /٦٥ برقم ١٨٤، واللفظ له، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، باب سياق ما روي عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين في رؤية المؤمنين الرب عز وجل ٣ /٤٨٢ برقم ٨٣٦، دار طيبة - الرياض، سنة النشر: ١٤٠٢ هـ د. أحمد سعد حمدان، وأخرجه أيضاً أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٦ /٢٠٩، دار الكتاب العربي - بيروت، ط/ الرابعة، سنة النشر: ١٤٠٥ هـ ومداره على عبد الله بن عبيد الله، قال العقيلي: روايته عن الفضل بن عيسى الرقاشي منكرة، انظر الضعفاء الكبير لأبي جعفر العقيلي ٢ / ٢٧٤، دار المكتبة العلمية - بيروت، ط/ الأولى، سنة النشر: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، والفضل بن عيسى الرقاشي أيضاً ضعيف جداً، وروايته كذلك منكرة. انظر في ذلك المجروحين لأبي حاتم محمد بن حبان البستي ٢ /٢١١، دار الوعي - حلب، تحقيق محمود إبراهيم زايد، والحديث أورده ابن الجوزي في الموضوعات، وله طريق أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجها ابن النجار في تاريخه كما أفاده السيوطي في اللآلئ، وفيها سليمان بن أبي كريمة، قال ابن عدي: عامة أحاديثه مناكير. انظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ٣ /٣١٣، وقال الألباني: حديث منكر. انظر ضعيف الترغيب والترهيب له ٢ /٥١٢.

(٢) هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي من قبيلة تميم، من مصنفاته: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، وحاشية في الفقه استدراكاً على جميع الكتب المستعملة في المذهب الحنبلي، ولد في عنيزة سنة ١٣٠٧ هـ وتوفي سنة ١٣٧٦ هـ. ترجم له ابن عثيمين في مقدمة تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٦، دار الذخائر - مؤسسة الريان.

(٣) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٦٤٤.

(٤) جاء فيه أثر ضعيف عن البراء بن عازب رضي الله عنه موقوفاً عليه، رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الزهد، ٧ /١٣٤ برقم ٣٤٧٦٧، والبيهقي في شعب الإيمان، باب في حشر الناس بعد ما يبعثون من قبورهم إلى =/=

الجنة، ويحتمل أن يكون السلام من الله، أو من الملائكة، أو من أنفسهم. والاحتمال الأول أقرب إلى الصواب جرياً على ظاهر النص.

قال ابن كثير: الظاهر أن المراد والله أعلم تحيتهم أي: من الله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾، أي: يوم يسلم عليهم، كما قال الله عز وجل: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨](١).

وقال ابن القيم: والتحية هنا مضافة إلى المفعول، فهي التحية التي يحيون بها ولولا قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ لاحتمل أن تكون التحية لهم من الملائكة، كما قال الله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]، ولكن هذا سلام الملائكة إذا دخلوا عليهم وهم في منازلهم من الجنة يدخلون مُسَلِّمِينَ عليهم. وأما التحية المذكورة في قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾، فتلك تحية لهم وقت اللقاء، كما يحيي الحبيب حبيبه إذا لقيه(٢).

وقال أبو بكر البيهقي(٣) في قول الله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ واللقاء إذا أطلق على الحي السليم لم يكن إلا رؤية العين، وأهل هذه التحية لا آفة بهم(٤).

=/= للموقف، فصل في عذاب القبر وكل معذب في الآخرة من كافر ومؤمن ١ / ٣٦١ برقم ٤٠٣، والحاكم في مستدركه، كتاب التفسير، تفسير سورة إبراهيم ٢ / ٣٨٣ برقم ٣٣٤٠، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قلت: فيه عبد الله بن واقد أبو رجاء الهروي الحراساني ضعفه بعض أهل العلم، وقال الحافظ ابن حجر: ثقة موصوف بخصال الخير. انظر تقريب التهذيب ص ٣٢٨، وفيه أيضاً محمد بن مالك الجوزجاني مولى البراء، قال ابن حجر: صدوق يخطئ كثيراً. تقريب التهذيب ص ٥٠٤، والأثر أعله الذهبي بهما كما في التلخيص على المستدرك، والله تعالى أعلم.

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣ / ٤٩٧.

(٢) انظر بدائع الفوائد لابن القيم ٢ / ٣٧٠، بتصرف.

(٣) هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي، شافعي المذهب، أحد أئمة المسلمين والحافظ الكبار، قائم بنصرة المذهب الشافعي أصولاً وفروعاً، وهو جبل من جبال العلم، قال عنه إمام الحرمين: ما من شافعي إلا وللشافعي في عنقه منّة إلا البيهقي، من مصنفاته: السنن الكبير، والسنن الصغير، ومعرفة السنن والآثار، والمبسوط في جمع نصوص الشافعي، ودلائل النبوة، والأسماء والصفات، وغير ذلك كثير، ولد سنة ٣٨٤ هـ وتوفي سنة ٤٥٨ هـ. انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤ / ٨، وما بعدها، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢ / ٢٢٠، وما بعدها.

(٤) انظر الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث للبيهقي ص١٢٣، دار الآفاق الجديدة-بيروت، ط/ الأولى، سنة النشر: ١٤٠١ هـ تحقيق أحمد عصام الكاتب.

قوله كالصريح في تفسير اللقاء بلقاء الله تعالى، وعليه تكون التحية من الله لا الملائكة، كما ذهب إليه بعض المفسرين.

ثانياً: سلام أهل الأعراف على أهل الجنة:

الأصل فيه قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٤٦].

والأعراف جمع عرف أو عرفة، ومنه عرف الفرس، وعرف الديك؛ لارتفاعه، وهو كل مكان عال مشرف؛ لأنه بظهوره أعرف من المنخفض(١).

وعن ابن عباس ﷺ في معنى الأعراف أربعة أقوال، ترجع كلها إلى معنى الارتفاع والعلو:

الأول: شرف الصراط. **الثاني:** سور كعرف الديك.

الثالث: جمع تل بين الجنة والنار حبس عليه أهل الذنوب.

الرابع: سور بين الجنة والنار(٢).

وقيل هو جبل أُحد يوضع هناك، وجاءت فيه أحاديث لا تخلو من مقال.

وأهل الأعراف في المشهور من أقوال السلف والخلف هم رجال من بني آدم يتأخر دخولهم الجنة؛ لاستواء حسناتهم وسيئاتهم، وقيل غير ذلك.

قال ابن كثير: اختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم، وكلها ترجع إلى معنى واحد، وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، نص عليه حذيفة، وابن عباس، وابن مسعود، وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله(٣).

والمقصود هنا أن أهل الأعراف يُحَيُّون من مر بهم من أهل الجنة بالسلام قبل دخولهم الجنة، وسلامهم هنا يحتمل وجهين:

---

(١) انظر في ذلك لسان العرب لابن منظور ٩ /٢٤١، و زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٣ /٢٠٤، المكتب الإسلامي - بيروت، ط/ الثالثة، سنة النشر: ١٤٠٤ هـ وفتح القدير للشوكاني ٢ /٢٠٧.

(٢) انظر الأقوال الأربعة عن ابن عباس من تفسير ابن كثير ٢ /٢١٧.

(٣) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

أحدهما: أن يكون السلام إنذاراً لهم بالوفاة .

والثاني: أن يكون تبشيراً لهم بالجنة؛ لأنَّ السلام أمان(١).

قال ابن عباس: أنزلهم الله بتلك المنزلة؛ ليعرفوا من في الجنة والنار، وليعرفوا أهل النار بسواد الوجوه، ويتعوذوا بالله أن يجعلهم مع القوم الظالمين، وهم في ذلك يحيون أهل الجنة بالسلام، لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلوها، وهم داخلوها إن شاء الله(٢).

وقال أبو مجلز(٣): هم أهل الجنة، أي قال لهم أصحاب الأعراف سلام عليكم، وأهل الجنة لم يدخلوا الجنة بعد، وهم يطمعون في دخولها للمؤمنين المارين على أصحاب الأعراف(٤).

ثالثاً: سلام الملائكة على أهل الجنة:

الأصل فيه قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤] أي: يقولون سلام عليكم؛ أضمر القول لدلالة الكلام عليه، وقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٥] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن أول ثلة تدخل الجنة الفقراء المهاجرون، الذين تُتَّقَىٰ بهم المكاره، إذا أُمِرُوا سمعوا وأطاعوا؛ وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان لم تقض له حتى يموت وهي في صدره، وإن الله تعالى يدعو يوم القيامة الجنة، فتأتي بزخرفها**

---

(١) انظر الوجهين من تفسير القرطبي ١٠ /١٠١، ونفس عبارة القرطبي في فتح القدير للشوكاني ٣ /١٦٠ .

(٢) انظر تفسير الطبري ٨ /١٩٤ .

(٣) هو أبو مِجلز -بكسر الميم وفتح اللام- مشتق من جلز السوط وهو مقبضه، واسمه لاحق بن حميد بن سعيد ابن خالد السدوسي البصري الأعور الأسود، من كبار ثقات التابعين، إلا أنه يدلس، توفي قبل الحسن البصري بقليل أيام عمر بن عبد العزيز سنة ١١٠هـ وقيل سنة ١٠٩ هـ وقيل سنة ١٠١ هـ . انظر مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ص ٩١، ومولد العلماء ووفياتهم ١ /٢٤١ - ٢٦١، وانظر أيضاً تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢ /٣٨٧، وتهذيب الكمال لأبي الحجاج المزي ٣١ /١٧٦ .

(٤) انظر تفسير القرطبي ٧ /٢١٣ .

وريها، فيقول: أين عبادي الذين قاتلوا في سبيل الله، وقتلوا في سبيلي، وأوذوا في سبيلي، وجاهدوا في سبيلي ادخلوا الجنة، فيدخلونها بغير حساب ولا عذاب، فتأتي الملائكة فيقولون: ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار، ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا، فيقول الرب تبارك وتعالى: هؤلاء الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي؛ فتدخل عليهم الملائكة من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار»(١).

وفي رواية «فيقول الله عز وجل لمن يشاء من ملائكته: ائتوهم فحيوهم، فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك، وخيرتك من خلقك؛ أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم! قال: إنهم كانوا عباداً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، وتسد بهم الثغور، وتتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره، لا يستطيع لها قضاءاً، قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك، فيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار»(٢).

رابعاً: سلام أهل الجنة بعضهم على بعض في الجنة:

الأصل فيه قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٥-٢٦].

---

(١) رواه أحمد في مسنده، من مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ ٢ /١٦٨ برقم ٦٥٧١، وفي سنده ابن لهيعة اختلط بعد احتراق كتبه، وقد تابعه معروف بن سويد الجذامي أبو سلمة المصري كما عند عبد بن حميد في مسنده ص ١٣٨برقم ٣٥٢، والبزار في مسنده ٦ /٤٢٦ برقم ٢٤٥٧، كلاهما من مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، وابن حبان في صحيحه، باب وصف الجنة وأهلها، ذكر وصف هذه الزمرة التي هي أول الخلق دخولاً الجنة بعد الأنبياء ١٦ /٤٣٨ برقم ٧٤٢١، وفي موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ص ٦٣٥ برقم ٢٥٦٥، وأبي نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء ١ /٣٤٧ . وتابعه أيضاً عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري المصري أبو أيوب . قال الحافظ ابن حجر: ثقة فقيه حافظ. انظر تقريب التهذيب ص ٤١٩، ومتابعته ثابتة عند الحاكم في مستدركه، كتاب الجهاد ٢ /٨١ برقم ٢٣٩٣، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي أيضاً بنفس سند الحاكم، كما في شعب الإيمان، باب في الجهاد ٤ /٢٧ برقم ٤٢٥٩ ، وفي باب الزهد وقصر الأمل ٧ /٣٠٠ برقم ١٠٣٨٠ . قال المنذري: رواه الأصبهاني بإسناد حسن لكن متنه غريب . انظر الترغيب والترهيب للمنذري ٢ /٢٠٩، والحديث عزاه الهيثمي إلى أحمد، والبزار، والطبراني، وقال: رجالهم ثقات . انظر مجمع الزوائد ١٠ /٢٥٩ .

(٢) قال الهيثمي: رواه أحمد، والبزار، والطبراني، وزاد بعد قول الملائكة [وسكان سماواتك]: (وإنك تدخلهم الجنة قبلنا)، ورجالهم ثقات . انظر مجمع الزوائد ١٠ /٢٥٩ .

قال القرطبي: أي لكن يسمعون سلاماً، فهو الاستثناء المنقطع، يعني سلام بعضهم على بعض، وسلام الملك عليهم(١).

وقوله تعالى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [يونس: ١٠]. أي: وتحية بعضهم بعضاً فيها سلام.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها، تحية من عند الله، وهو السلام؛ لأنَّه اسم الله، وهو تحية أهل الجنة)(٢).

وقال الحسن البصري: إنَّ السلام لا ينقطع عن أهل الجنة، وهو تحيتهم، كما قال: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾(٣).

وقال قتادة(٤): أعطى الله هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة، وفي لفظ: وكانت تحية الناس يومئذ أنْ يسجد بعضهم لبعض(٥).

---

(١) انظر تفسير القرطبي ١١ /١٢٦ .

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان، فصل في سلام من دخل بيته أو بيتاً ليس فيه أحد ٦ /٤٤٦ برقم ٨٨٣٥ ، وفيه عبد الله بن صالح، وهو ابو صالح المصري كاتب الليث، مختلف في الإحتجاج به، والراجح ضعفه، قال عنه الحافظ ابن حجر: صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة . انظر تقريب التهذيب ص ٣٠٨، وفيه ايضاً علي بن ابي طلحة مولى بني العباس، قال ابن ابي حاتم: سمعت ابي يقول: سمعت دحيماً يقول: إن علي بن أبي طلحة لم يسمع من إبن عباس التفسير، وقال ايضاً سمعت أبي يقول: علي بن ابي طلحة عن ابن عباس مرسل . انظر المراسيل لابن ابي حاتم ص ١٤٠، وقال الحافظ ابن حجر: صدوق قد يخطئ، من رجال مسلم، أرسل عن العباس ولم يره . انظر تقريب التهذيب ص ٤٠٢ . وبقية رجال السند ائمة ثقات . والحديث ذكره الحافظ في الفتح ١١ /١٣، وسكت عنه . واما حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً: (إن الله أعطاني ثلاث خصال، لم يعطها أحد قبلي: الصلاة في الصفوف، والتحية من تحية اهل الجنة، وآمين) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٣ /٨٩ برقم ٢٩٦٩ . وفي سنده زربي بن عبد الله الأزدي مولاهم أبو يحيى البصري إمام مسجد هشام بن حسان . قال الذهبي عنه: واه . انظر الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ١ /٤٠٤، وقال الحافظ ابن حجر: ضعيف . انظر تقريب التهذيب ص ٢١٥ . وبقية رجال السند ثقات إلاَّ عبد الصمد بن عبد الوارث أبو سهل البصري، صدوق ثبت في شعبة . انظر تقريب التهذيب ص ٣٥٦

(٣) انظر تفسير القرطبي ٨ /٣٢٩ .

(٤) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي البصري الأكمه، من كبار فقهاء البصرة، ولد وهو أعمى، وعنى بالعلم فصار من حفاظ أهل زمانه، وعلمائهم بالقرآن والفقه، قال معمر: قلت للزهري أقتادة أعلم أم مكحول ؟ قال: بل قتادة ، ما كان عند مكحول إلا شيء يسير . ولد سنة ٦٠ هـ، ومات ١١٧ هـ . انظر مشاهير علماء الأمصار لابن حبان البستي ص ٩٦، وطبقات الفقهاء للشيرازي ١ /٩٤، وانظر تهذيب التهذيب لابن حجر ٨ /٣١٥ .

(٥) قال الحافظ ابن حجر: أخرجه ابن جرير بسند صحيح . انظر فتح الباري له ١٢ /٣٧٦ .

المطلب السادس
تحقيق معنى السلام المضاف إلى الدار

ورد السلام في القرآن الكريم مضافاً إلى الدار في موضعين:

الأول: قوله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

والثاني: قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥].

وفي معنى السلام المضاف إلى الدار أربعة أقوال:

القول الأول: السلام هو الله، والجنة داره، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، والسُّدِّي، وعلى هذا فهو من باب إضافة المالك إلى ما يملكه، وهذا النوع من الإضافة مقتضاه التخصيص.

القول الثاني: السلام بمعنى السلامة أي: دار السلام من كل آفة ونقص وشر، قاله الزجاج، وعلى هذا فهو من باب إضافة الصفة إلى موصوفها، وهذا مقتضاه التنبيه على أجلِّ صفاتها أعظمها وأشرفها.

القول الثالث: تحية أهلها فيها السلام، ذكره أبو سليمان الدمشقي، وعلى هذا فهو من باب إضافة ما يقع فيها إليها.

القول الرابع: إن جميع حالاتها مقرونة بالسلام، ففي ابتداء دخولهم يدخلونها بالسلام، وبعد استقرارهم تدخل عليهم الملائكة بالسلام، وكلامهم فيها سلام، وعند لقاء الله يلقونه بالسلام[١].

---

(١) انظر الأقوال الأربعة من زاد المسير لابن الجوزي ٣ / ١٢٢.

والمتأمل في الأربعة أقوال يجدها متلازمة، وإن كان القول الثاني أظهرها؛ إذ لو كانت الإضافة إلى مالكها لجاز إضافتها إلى اسم من أسمائه غير السلام، فيقال: دار الرحمن، أو دار الله، أو دار الملك، ونحو ذلك، والأصل في الإضافة أن تحمل على المعهود، والمعهود في القرآن إنما هو إضافتها إلى صفتها، أو إلى أهلها.

أما إضافتها إلى صفتها فورد كثيراً في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيراً﴾ [الفرقان: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [النجم: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ [لقمان: ٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ [الكهف: ١٠٧]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ﴾ [فاطر: ٣٥].

وأما إضافتها إلى أهلها فورد في قوله تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠].

ولم تعهد إضافتها إلى اسم من أسماء الله تعالى في القرآن؛ فالأولى حمل الإضافة على المعهود في القرآن. وأما إضافتها إلى التحية فضعيف من وجهين:

الوجه الأول: التحية بالسلام مشتركة بين دار الدنيا والآخرة، وما يضاف إلى الجنة لا يكون إلا مختصاً بها كالخلد، والقرار، والبقاء ونحوه.

الوجه الثاني: إن من أوصاف الجنة ـ غير التحية – ما هو أكمل منها، مثل كونها دائمة، وباقية، ودار الخلد، والتحية فيها عارضة عند التلاقي والتزاور، بخلاف السلامة من كل عيب ونقص وشر؛ فإنها من أكمل أوصافها المقصودة على الدوام التي لا يتم النعيم فيها إلا بها، فإضافتها إلى السلامة المطلقة أولى، وهذا ظاهر؛ ولهذا قال ابن كثير: وسمَّاها دار السلام أي: من الآفات، والنقائص، والنكبات(١).

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٢ /٤١٤ .

فإن قيل: إذا كانت السلامة غير منفكة عن أهل الجنة من كل وجه، فما فائدة سلام بعضهم على بعض، أو سلام غيرهم عليهم في الجنة؟.

الجواب على ذلك من وجهين يحصل به مقصود السلام وفائدته في الجنة:

الوجه الأول: إنَّ السلام الحاصل لأهل الجنة خبر عما يجدونه من النعيم الدائم الذي لا مشقة فيه بوجه من الوجوه، والمعنى قد سلمتم من الآفات، والمحن، وحصلت لكم أمنة من الله، فلن ينالكم بعده مكروه أو أذىً، فهو خبر يتضمن نفي حصول المكروه في المستقبل، ناهيك عن المعنى الذي يتضمنه السلام في الجنة، من زيادة السعادة بالنعيم.

الوجه الثاني: أنه دعاء لهم، أو لبعضهم بعضاً بدوام السلامة، فهو خبر معناه الدعاء، وهذا يتضمن اعترافهم بالعبودية لله؛ إذ وهم في هذه الحالة من الأمن والاستقرار أرادوا الإفصاح عن مكنونهم بطلب السلامة من الله، والاعتراف بأنهم عبيد له، مفتقرون إلى سؤاله وطلبه.

قال القرطبي جامعاً الوجهين بقوله: أي قد سلمتم من الآفات والمحن، وقيل هو دعاء لهم بدوام السلامة وإن كانوا سالمين، أي: سلمكم الله، فهو خبر معناه الدعاء، ويتضمن الاعتراف بالعبودية[1].

فإن قيل: ما ذكر من سلامة الجنة وأهلها من كل سوء وشر، يرد عليه الإشكال الآتي:

وهو أنَّ الله سبحانه وتعالى قد ابتلى آدم فيها بالمعصية والفتنة، ولم يسلم فيها من الآفات التي تكون في الدنيا، حيث حصل له النصب، وندَّ هارباً فاراً فيها، عند إصابته المعصية، وطفق يخصف ورق الجنة على نفسه، وهذا هو النصب بعينه الذي نفاه الله عنها، وأخبر أنه لا يسمع فيها لغو ولا تأثيم، وقد أثم فيها آدم، وأسمع فيها ما هو أكبر من اللغو، وهو أنه أُمر فيها بمعصية ربه؟.

الجواب عليه من وجوه:

---

(١) انظر تفسير القرطبي ٩ / ٣١٢.

الوجه الأول: دخول آدم وزوجه الجنة كان دخولاً عارضاً مؤقتاً، ولم يكن دخولاً على وجه السكنى والكرامة، واتخاذها داراً للقرار والمقامة، وبالتالي فلا يمتنع دخولها على وجه الابتلاء والامتحان؛ لأن الله سبحانه وتعالى لما خلق آدم اعلمه أنَّ لعمره أجلاً ينتهي إليه، وأنه لم يخلق للبقاء في تلك الدار بدليل إخراجه منها، ويتأكد هذا الوجه بحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، أمثال الذر، ثم جعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال آدم: من هؤلاء يارب؟. قال: هؤلاء ذريتك، فرأى آدم رجلاً منهم أعجبه وبيص ما بين عينيه فقال: يارب من هذا؟. قال: هذا ابنك داود يكون في آخر الأمم قال آدم: كم جعلت له من العمر؟. قال: ستين سنة. قال: يا رب زده من عمري أربعين سنة حتى يكون عمره مائة سنة، فقال الله عز وجل: إذن يكتب ويختم فلا يبدل، فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت لقبض روحه قال آدم: أولم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال له ملك الموت: أولم تجعلها لابنك داود؟. قال: فجحد فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته، وخطئ فخطئت ذريته»**[1]. فهذا صريح في أن آدم لم يكن مخلوقاً في ذلك الزمان والمكان لدار

(١) رواه الترمذي في جامعه من وجهين عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب التفسير، باب ومن سورة الأعراف ٥ /٢٦٧ - ٤٥٣ برقم ٣٠٧٦ - ٣٣٦٨، وقال: حديث حسن صحيح، وقال على الوجه الآخر: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وأخرجه أبو يعلى في مسنده، من مسند أبي هريرة رضي الله عنه ١١ /٢٦٣ برقم ٦٣٧٧، وابن حبان في صحيحه بترتيب ابن بلبان، كتاب بدء الخلق، باب ذكر إخراج الله جل وعلا من ظهر آدم ذريته وإعلامه إياه أنه خالقها للجنة والنار ١٤ /٤٠ برقم ٦١٦٧، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط/ الثانية، سنة النشر: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، وفي موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، كتاب علامات النبوة وذكر الأنبياء، باب في عدد الأنبياء والمرسلين وما نزل من الكتب ص ٥٠٩ برقم ٢٠٨٢، والبيهقي في سننه الكبرى، كتاب آداب القاضي، باب الاختيار ١٠ /١٤٧ برقم ٢٠٥٢٠، والحاكم في المستدرك من وجهين عن هشام بن سعد، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأعراف، وكتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، باب ذكر نبي الله داود صاحب الزبور عليه السلام ٢ /٣٥٥ - ٦٤٠ برقم ٣٢٥٧ - ٤١٣٢ واللفظ له، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، واستدرك عليهما الشيخ مقبل بقوله: مسلم لم يعتمد على هشام بن سعد. انظر تتبع أوهام الحاكم التي سكت عليها الذهبي للشيخ مقبل ٢ /٣٨٦، والحديث ذكره الألباني في صحيح أبي داود ٣ /٥٢ . وله شواهد ومتابعات يرتفع بها إلى درجة الصحة، وهشام لم ينفرد به .

تنبيه: جاء في بعض الروايات أن آدم عليه السلام جعل له من عمره ستين سنة، وسندها صحيح، وهي مخالفة لرواية

=/=

الخلد، التي لا يموت من دخلها، وإنما دخلها على وجه الابتلاء والامتحان، بدليل إعلامه بأجله المحدود.

الوجه الثاني: حصول السلامة فيها إنما هو إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة، كما يدل عليه السياق؛ إذ سياق الآيات يدل على أن ذلك كائن بعد المرور بمراحل الآخرة، من العرض والحساب وتجاوز الصراط، وهذا لا ينفي أن يكون فيها ما حصل بين آدم وإبليس على ما حكاه الله عز وجل من الامتحان والابتلاء، ثم يصير الأمر عند دخول المؤمنين إليها إلى ما أخبر الله عز وجل به من السلامة المطلقة، وعليه فلا تنافي بين الأمرين لانفكاك الزمان.

الوجه الثالث: حصول السلامة لآدم وزوجه فيها قد علّق بشرط، والشرط لم يحصل؛ فإنه سبحانه وتعالى قال ممتناً على آدم: ﴿**إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى**﴾ [طه: ١١٨]، والآية صيغة وعد مرتبطة بما قبلها من الكلام وهو قوله: ﴿**وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [البقرة: ٣٥]، والمعنى إن اجتنبت الشجرة التي نهيتك عنها، ولم تقربها، كان لك هذا الوعد الذي علق بهذا الشرط، والحكم المعلّق بالشرط ينعدم حصوله عند انعدام شرطه، فلما أكل آدم من الشجرة زال استحقاقه لهذا الوعد، ومن تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

الوجه الرابع: ذهبت المعتزلة والقدرية إلى أنّ الجنة التي دخلها آدم هي جنة أخرى، غير الجنة التي وُعِدَ بها المتقون، وهي جنة لم يشترط الله لأهلها السلامة من كل وجه، وعلى هذا فما حصل لآدم من عدم السلامة لا ينافي وصف الجنة بدار السلامة؛ لأن الوصف انصرف إلى دار غير الدار التي دخلها، بدليل دخول إبليس فيها وهو كافر، والكافر لا يدخل الجنة.

=/= الأربعين، قال علي القارئ كما في تحفة الأحوذي: ويمكن الجمع بأنه جعل له من عمره أولاً أربعين ثم زاد عشرين، فصار ستين، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢]، ولا يبعد أن يتكرر ماتى عزرائيل عليه السلام للامتحان، بأن جاء وبقي من عمره ستون، فلما جحده رجع إليه بعد بقاء أربعين على رجاء أنه تذكر بعد ما تفكر فجحد ثانياً، وهذا أبلغ من باب النسيان. وقال المباركفوري: والأظهر أنه وقع شك للراوي وتردد في كون العدد أربعين أو ستين، فعبر عنه تارة بالأربعين، وأخرى بالستين، ومثل هذا وقع من المحدثين. انظر تحفة الأحوذي ٨ / ٣٦٤.

قال القرطبي: ولا التفات لما ذهبت إليه المعتزلة والقدرية، من أنه لم يكن في جنة الخلد وإنما كان في جنة بأرض عدن، واستدلوا على بدعتهم بأنها لو كانت جنة الخلد لما وصل إليه إبليس[1].

ويجاب عن قولهم بما تقدم من الأوجه الثلاثة، ويزاد عليها أن قولهم مجرد دعوى تفتقر إلى النص، ويتأكد هذا الافتقار عندما تتعلق المسألة بأمر غيبي يستحيل إدراكه بالخرص والتخمين والأساطير، بل قاعدتهم في عدم حجية خبر الواحد في العقيدة تقضي ببطلان دعواهم؛ لعدم ورود الدليل القاطع، بل ولا الظني، ومع بطلان قاعدتهم فأنَّى لهم الدليل المتواتر الدال على إثبات جنة أخرى بأرض عدن غير الجنة المعهودة في خطاب الوحي؟!.

(١) انظر تفسير القرطبي ١ /٣٠٢ .

obeikandl.com